

تطلق عندهم على كل ما نسميه اليوم زجلاً أو هي خاصة بنوع منه فمنها قول هبة
الله الأفودي وقد سئم من قراءة الفصول لابن معظ في النحو:

يا قوم واش هذا الفضول ... نقرا الفصول

الملحة نقرا يا فلا ... أو مختصر شييت والبيان=هذا يجن بالضمآن

لسائر أرباب العقول

من قوله معد يكرّب ... القلب أضحي منكرّب=وبيت عقلي قد حرب

وشرح حالي فيه يطول

من صحرواوت مع حليات ... ومد وشد مع حات بات=من الذي عنده ثبات

يفهم مفاعيل مع فعول

ومنها مطلع بليقة لبعضهم في هجو قاض:

قاضي القضاة أعزل نفسه ... لما ظهر للناس لحسه

ولا يستقيم الوزن إلا بإسكان آخر الكلم كما تنطق العامة. ومما استفدته من هذا

الكتاب عثوري فيه على كلمات عامية مستعملة إلى الآن بمصر أدمجها المصنف في

عبارته مما يدل على أنها أقدم في الاستعمال من عصره حتى صارت من المألوف

عندهم والا لما جرى بها قلم مثل هذا الإمام في مثل هذا التأليف. وبالجملة فمحاسن

الكتاب كثيرة وفوائده غزيرة فلعل أحد المشتغلين بالطبع من الوراقين يتنبه له فيطبع

ليعم نفعه.

القاهرة

أحمد تيمور

أو

أبو بكر الرازي

ألا لفتة منا إلى الزمن الخالي ... فنبط من أسلافنا كل مفضل
 تلونا أناساً في الزمان تقدموا ... وكم عبرة فيمن تقدم للتالي
 ألا فاذكروا يا قوم أربع مجدكم ... فقد درست ألا بقية أطلال
 تنطلبتمو صفو الحياة وأنتمو ... بجهل وهل تصفو الحياة لجهال
 وما أنتمو إلا كسكران طافح ... تحسى من الصهباء عشرة أرتال
 مشى بارتعاش في الطريق فتارة ... يقوم وأخرى ينهوي فوق أوحال
 يمد إلى الجدران كف استاده ... فتقفه الجدران قذفة إذلال
 ويفتح للطراق مقلة حائق ... فيغمضها خزيان عن شتم عدال
 رمى الدهر قومي بالحمول فليستهم ... وأوسعتهم عدلاً فلم يجد تعذالي
 فهاج البكا يأسى فلما بكتهم ... بدمعي حتى بل دمعى سربالي
 نظرت إلى الماضي وفي العين حمرة ... كأن على آفاقها نضح جريال
 فشمت بروق الأولين منيرة ... على أفق من ذلك الزمن الخالي
 تنورتها في أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال
 وقلبت طرفي في سماء رجالها ... وهم فوق عرش للجلالة محال
 فأنست آثاراً وهم سلك درها ... وأبصرت أعمالاً وهم جيدها الخالي
 ولما طويت الدهر بيني وبينهم ... على بعد أزمان هناك وأجيال
 قعدت بأوساط القرون فجاءني ... (أبو بكر الرازي) فقمتم لإجلال
 فتي عاش أعمالاً جسماً وإنما ... تقدر أعمار الرجل بأعمال

حكيم رياضيّ طيبٌ منجمٌ ... أديب وفي الكيمياء حلال إشكال
 أتى فيلسوفاً للنفوس مهذباً ... بأفضل أفعال وأحسن أقوال
 لقد طبب الأرواح من داء جهنمها ... كما طبب الأجسام من كل إعلال

مولده

تولد عام الأربعين الذي انقضى ... لثالث قرن ذي مآثر أزوال
 إلى زكريا ينتمي أنه له ... أب تاجر في الريّ صاحب أموال
 على حين كانت بنده الريّ غادةً ... إلى العنم يعطو جيدها غير معطل
 مدارس بالشبان تزهو ودونها ... كتابيب لتنعيم تزهو بأطفال
 بها جل درس القوم طب وحكمة ... وفسفة فيها لهم أي إيغال
 وكانت نقيسات الصنائع عندهم ... يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
 وما كان هذا الحال في الريّ وحدها... بل الحال في البندان طر كذا الحال
 فإن هدى الإسلام أهدى فتوحه ... وأوصنها لنجد أحسن إيصال
 وبدل أبطال الحرب من الوري ... بأبطال عنم لنجهالة قتال
 فدارت رحي تنك العنوم وقطبها ... ببعداد مركز بربرة إجلال
 وكانت يد المأمون في ذاك أخرجت ... لسنا العنى في شكره أي إخراج

منشؤه

تدرج في تلك المدارس ناشئاً ... مترجمنا يسعى بجد وإقبال
 تعلم فن الصوت بديء بدئه ... ومارس تفضيلاً به بعد إجمال
 فكانت بموسيقى اللحن دروسه ... تغني باهزاج وتشدو بإرمال
 وقد جاوز العشرين سنًا ولم يكن ... لشيء سوى فن الغناء بميال
 فرام أبوه منه تحويل عزمه ... بجذب إلى شغل التجار وإدخال

غفال له دعني مع العلم إنني ... إذا ما أمتُّ الجهلُ أحييت آمالي
وهل يستطيع المرءُ شغلاً إذا غدا ... له شاغل بالعلم عن كل إشغال
هناك استقى الرازي من العلم شربة ... فجاد بإعلال له بعد إهمال
سعى سعيه نحو التعلم بادئاً ... بعلم لدى أهل التفلسف ذي بال
وقد كان مفتاح العلوم تفلسف ... تفك به من جهلهم كل أغلال
فزاوِل أنواع العلوم تنقلاً ... بابين أوضاح لها غير أقفال
نضاهمة في العلم مشحودة الشبا ... جنت ما لحرب الجهل من ليل قسطنل
وقد أكمل الطب المفيد قراءة ... على الطبري الخبر أحسن إكمال

سياحته

ومذ جاوز الرازي الثلاثين واغتنى ... مدلاً على أقرانه أي إدلال
رأى في تمام العلم للمراء أنه ... يسيح بضري في البلاد وتحوال
ما العلم إلا بالسياحة إنما ... لمن علموا في علمهم درس أعمال
فقام وشد الرحل والغرز وامتطى ... لقطع الفيافي متن موجاء شمال
فجاء بلاد الشام تواءً وجازها ... إلى مصر في وخذ حيث وأرقال
وخاض عباب البحر للغرب قاصداً ... مواطن للإسلام لم يسلمها الساني
ففيها اجتلاه العزم مذ لاح طالعاً ... لها كهلال يجتلي عند إهمال
وحل حلول البدر في السعد نائلاً ... بقرطبة آماله ناعم البال
وهب هبوب الريح ثمة ذكره ... يطير على صيت من العلم جوان
وودعها من بعد ذلك راجعاً ... إلى مصر لا توديع مستكره قال
ومنها إلى بغداد سافر قاطعاً ... إليها القلا ما بين حل وترحال
فألقي عصا التسيار في عرصاتها ... بمغرس عرفان ومنبت أفضال

وبغداد كانت وهي إذ ذاك جنة ... بها العلم أجرى منه أنهار سلسال
 كأن رجال العلم في غرفاتها ... بلابل تشدو غدوة بين أدغال
 فكم محفل للكتب فيه خزانة ... وكم مرصد دان وكم مرقب عال
 ولما غدا الرازي ببغداد باسطاً ... من العلم أبواعاً له ذات أطوال
 أقيم لمارستها عن كفاءة ... رئيساً بتطبي وتدبير أحوال
 فرتب مرضاه وأصلح شأنه ... بما كان لم يخطر لسابق أجيال
 وظل به يسعى طبيباً مريضاً ... ويبدل جهداً لم يكن فيه بالآل
 ويلقي السريريات وهي مسائل ... لدى سرر المرضى تقرر في الحال
 فقد كان يلقيها على القوم ناطقاً ... بأوضح تبيان وأحسن إمال

مآثره العلمية

لقد أشغل الرازي ببغداد شغفه ... عدا الطب فغي الكيمياء أعظم أشغال
 ففضى بها أيامه في تجارب ... وواصل أبحاثاً لمن بأصال
 فلقلب فيها بانحزب حرمة ... تفرد مخصوصاً بما بين أمثال
 وأصبح مشهوراً بأسنى مآثر ... من العلم لم يسبق إليها وأعمال
 فإن أبا بكر لأول مفصح ... إلى الناس بالدرس السريري مقوال
 وأول من أبدى لهم كيف يتنى ... ويفرش مارستهاهم قصد إبال
 وألف في المستشفيات مؤلفاً ... تقصى به وصفها دون إغفال
 ولا تنسى للرازي الكحول فإنه ... يجدد طول الدهر ذكره في البال
 ومن عمل الرازي انعقاداً لسكر ... وما كان في محصوله غير سيال

أخلاقه

أرى العلم كالمراة يصدأ وجهه ... وليس سوى حسن الخلاق من جال

أخو العنم لا يغنو عنى سوء خلقه ... وذو الجهل أن أخلاقه حسنت غال
ولو وازن العلم الجبال ولم يكن ... له حسن خلق لم يزن وزن مثقال
وإن المساوي وهي في خلق عالم ... لا قبح منها وهي في خلق جهال
ولكنما الرازي قد ازدان علمه ... بأحسن أخلاق وأشرف أفعال
خلاق غرّ إن أردت بيانها ... بدأت بحرف الحاء والميم والبدال
فتى كان مملوء الجوانح رحمة ... بكل هزيل الجسم من سقم إقلال
يرور بيوت البائسين بنفسه ... ويفتقد المرضى بفحص وتساءل
ويأتيهم بالمال والعلم مسعداً ... لتطبيب أوجاع وتأمين أوجال
وما كان يقنو المال إلا لبذله ... لتعليم علم أو لإعطاء سؤال
وكان حليف الجد لم يأل جهده ... بدحض خصوم العلم من كل هزال
فكم راح مخذولاً به متطبب ... سعى كاذباً في طبه سعي إضلال
وكان سليماً غي العقيدة ينسونه ... لزيغ فقد أغناك عنهن إجمالي
عوده إلى الري

ولما قضى الرازي ببغداد برهة ... مضى قافلاً للري شوقاً إلى الآل
فلما أتى تلك البلاد غداً بما ... طبيياً لدى المنصور صاحبها الوالي
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه ... كتاباً حوى في الطب أحسن أقوال
ولم تصف للرازي أواخر عمره ... وعاد أخاهم شديد وبلبال
فقد عميت عيناه من بعد واغتنى ... يحول من الفقر بأسمال
وإن عداء الدهر شنشنة له ... يصول بما قهراً على كل مفضال
ولما انتهى نحو الثمانين عمره ... قضى نجه من غير مال وأنسال

ولكنه في الناس خلف بعده ... من العلم آثاراً قليلة أمثال
فكم كتب أبقى بما الذكر في الورى ... وألفها نسجاً على خير منوال
وما ضرّ من أحيا له العلم بعده ... على الدهر ذكراً أنه ميت بال
وإني إن أطبت في بحر علمه ... لمقتصر منه على بعض أو شال
وما أنا أنمي القول لا لتمامه ... ولكن لعجزى عن فموض بأجبال
وأجعل هذا الشعر مسكاً ختامه ... بما قال في بيتين معناهما حال
لعمرى وما أدري وقد آذن البلى ... بعاجل ترحال إلى أين ترحالني
وأين محل الروح بعد خروجه ... من الهيكل المنحل والجسد البالي

بغداد

معروف الرصافي